توات الجغرافيا والمصطلح من خلال المونوغرافيا المحلية والأجنبية

د. محفوظ رموم

أستاذ محاضر في التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة أدرار

شكل إقليم توات، موطن توارق صنهاجة (Zanag)، الذي هو جزء من الهضبة الصحراوية، التي صنعت حضارة ما قبل التاريخ، فعمرته قبائل الجيتول ومنهم الليفتاي، ثم حضارة العصر الوسيط، فتعاقبت عليه قبائل صنهاجة وزناتة، وبحكم هذا الامتداد التاريخي، فقد أصبح الإقليم جزء من الجغرافيا، والتاريخ، والحضارة، ولذلك ورد ذكره في معظم المنوغرافيات التاريخية القديمة، والوسيطة، والحديثة، المحلية منها والأجنبية، بداية من هيرودوث، وابن خلدون، مرورا برحالة الشرق والغرب، كابن حوقل والإصطخري، واليعقوبي، والوزان، والعياشي، وصولا للاستكشافات الأوروبية العسكرية والعلمية في القرن 19م.

سنحاول في هذا المقال، البحث في جذور إقليم توات، الجغرافيا، والمصطلح، ونقل وصف المنوغرافيات المختلفة له، في القديم والحديث، وقبائله وعناصره السكانية، التي استوطنته، وأحصت القصور التي شيدت به.

Touat : géographie et terminologie à travers la monographie locale et étrangère

Résumé:

le province de Touat constitue la zone des Touareg (Zanag), qui fait partie du plateau désertique, et les civilisation préhistorique, fait par les Gétul et Lyvital puis la

civilisation du Moyen Age, et les tribus des Zanag et les Zénate. La région est devenue une partie de la géographie, l'histoire et la civilisation, et donc mentionné dans la plus ancienne Monographie historique de lantiquité ,médivale, et moderne age, local et étranger, de Hérodote, a Ibn Khaldun, el Estakhri, el Yakoubi, el Wazzan, el Ayachi , ainssi que les éxplorateurs européennes , militaire et scientifique, au 19e siècle.

Nous allons essayer dans cet article, d'étudié les racines de Touat, la géographie, la terminologie, la population, les tribus, les ksur, et le transfert de sa description dans les différents Monographie.

المقدمة:

تمتد منطقة توات، على الهضبة السهلية الواقعة جنوب وادي الساورة، والجزء العلوي من وادي مسعود، والتي تضم مجموعة من الواحات والقصور، المتناثرة بين بلاد التوارق، ومنطقة الكثبان الغربية المتصلة بتافيلالت من جهة، وسبخة تيكورارين، وهضبة تيديكلت، التي تعتبر امتدادا طبيعيا له، من جهة أخرى، والتي تشكل مع توات العليا والسفلى، منطقة توات الكبرى.

تعتبر المنطقة موطن توارق صنهاجة (Touareg-Zanag)، التي هي جزء من الهضبة الصحراوية الكبرى، التي صنعت حضارة ما قبل التاريخ، فعمرتها قبائل الجيتول، ومنهم الليفتاي، ثم حضارة العصر الوسيط، فتعاقبت عليه قبائل صنهاجة وزناتة، وبحكم هذا الامتداد التاريخي، فقد أصبحت جزء من الجغرافيا، والتاريخ، والحضارة الانسانية، ولذلك ورد ذكر توات في الكثير من المنوغرافيات التاريخية القديمة، والوسيطة، والحديثة، المحلية منها والأجنبية، بداية من هيرودوتHérodot، وصولا إلى ابن خلدون، مرورا برحالة الشرق والغرب كابن

حوقل، والإصطخري، واليعقوبي، والوزان، والعياشي، وجيرارد رولف، ورينيي كابي وغيرهم.

سنحاول في هذا المقال، البحث في جذور إقليم توات، والحديث عن الجغرافيا والأرض، ونقل وصف المنوغرافيات المختلفة له، وذلك من خلال العناصر التالية:

-جغرافية توات

-توات في المنوغرافيا التاريخية

-توات المصطلح المعنى والأصول

-القبائل التي استوطنت توات

-قصور توات

-توات والرحلات الأجنبية خلال القرن 19م.

1-جغرافية توات:

تعد منطقة توات جزء من الصحراء الكبرى،[1] وتقع اليوم في الجنوب الغربي الجزائري، بين خطي عرض 26° و30°، شمال خط الاستواء، وبين خطي طول 4° غربا، و1° شرق خط غرينتش. وقد سمح هذا الموقع الفلكي لإقليم توات، بأن يكون امتدادا طبيعيا لمنخفض تنزروفت، حيث يحده من الشمال العرق الغربي الكبير، وواد مقيدن، ومن الجنوب صحراء تنزروفت، وواد قاريت، وجبال مويدار، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير، المحاذي لواد المایة، ومن الغرب واد الساورة وروافده. وبذلك

[1] نستخدم مصطلح "توات" بمفهومه الجغرافي، الذي يضم قورارة-توات العليا والسفلى-تيديكلت، وهو يشكل اليوم الجزء الأكبر من ولاية أدرار، وأدرارAdrar، اسم مذكر باللغة الأمازيغية، جمعه إدورارIdorar، وتعني المكان المرتفع أي الجبل. وسكان الصحراء الكبرى هم: الجيتول في الجهة الغربية، واللوبيون في الجهة الشرقية، والغرامنت في الجزء الجنوبي الشرقي، وإلى جنوب هذه التجمعات يسكن الأثيوبيون ومنهم جاء الحراطين ينظر:
Bellil Rachid; Les Oasis du Gourara Sahara Algérien, p.63.

فهو جزء من الصحراء الإفريقية الكبرى، التي تمتد من سواحل البحر الأحمر شرقا، إلى المحيط الأطلسي غربا، حيث يتربع على مساحة ألفي ميل مربع.[1]

2-توات في المونوغرافيا التاريخية:

ورد ذكر توات في عدد من المصادر التاريخية، وأقدمها كتابات هيرودوت Hérodot،[2] حيث أورد المؤرخ الفرنسي مارتانMartain، أن مناطق أدرار، ورد وصفها في كتب هيرودوت القديمة، وأن تعميرها تم على يد قبائل الجيتولGétule، وهم قدماء الأمازيغ، الذين استوطنوا شمال إفريقيا والصحراء، وأقاموا القصور الأولى بالهضبة الصحراوية، وشيدوا أكثر من مائة وخمسة (105) قصرا، أهمها الملكات (قصر ملوكة حاليا) وقصر بوده، كما تحدث عن تمنطيط، واعتبرها عاصمة المنطقة، وذلك خلال الفترة الممتدة من ما قبل التاريخ إلى القرن 1م، حيث سكن توات التوارق،[3] ثم وفد إليها اليهود بعد ذلك فأقاموا بها، وبداية من القرن 6م، تمكن أمازيغ زناتة من بسط نفوذهم عليها.

كما وردت الإشارة إلى هذا الإقليم جغرافيا، دون ذكر لأسماء مناطقه، عند كل من الجغرافي ابن حوقل،[4] والإصطخري،[5] واليعقوبي.[6]

أما المصادر، التي أوردت الحديث عن المنطقة بأسمائها الحالية، فيأتي على رأسها كتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزان، الذي زار الصحراء مطلع القرن 16م،

---

[1] فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر،1984، ص 1.

[2] وردت إشارات قبل هرودوت عن الصحراء الكبرى، في كتب هومرHomére، وسيلاكسSylax، وبروماتوسBrumatus، ولكنها معلومات محدودة. ينظر: بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999م، ص 61.

[3] والتوارق مصطلح أطلقه العرب، أما هم فيتسمون Imoucharh، مفردها Amacherh، ينظر:
Encyclopédie Image Mundi; article l'histoire du sahara.

[4] ابن حوقل، صورة الأرض، طبعة ليدن ، 1938، ص 83.

[5] الإصطخري، المسالك والممالك، طبعة القاهرة، 1961، ص 36.

[6] اليعقوبي، معجم البلدان، طبعة الجزائر، 1960، ص 17.

ولاحظ أن ساكنيها، إلى غاية تلك الفترة، من قبائل الأمازيغ النوميديين، وعددها خمسة(5).

كما ذكر أن اسم هذه الصحاري من أسماء تلك القبائل فقال: "لا تحمل هذه الصحاري اسما دارجا بيننا، بيد أنها تقسم إلى خمسة أقسام، أطلق على كل منها اسم القوم الذين يسكنون فيه، ويجدون فيه وسائل معاشهم...أولائك هم النوميديون الذين ينقسمون إلى خمس مجموعات هي: الزناتة، الونزيقبة، الطارقة (يقصد التوارق)، اللمتة (أي اللمتونيون)، والبرداوة، وتوجد في هذه المناطق بعض البقاع، التي تتخذ أسماء فريدة، بسبب نوعية البلاد من جودة أو رداءة، مثل: الأزواء (يقصد توارق الأزواد)، التي عرفت بهذا الاسم بسبب عمقها وجفافها، وآيير الذي هو عبارة عن صحراء بدوره، والذي نال هذا الاسم بسبب عذوبة هوائه المعتدل".[1]

كما وصف الوزان تسابيت بأنه "إقليم مأهول في صحراء نوميديا، على بعد مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة، ومائة ميل من الأطلس، يضم أربعة قصور وقرى عديدة."[2]

أما المؤرخ ابن خلدون، وهو أعلم بأنساب الأمازيغ، فقد ذكر توات في خضم حديثه عن السودان فقال:" وفواكه بلاد السودان تأتي من توات وتيكورارين ووركلان."[3]

وقال الرحالة ابن بطوطة حين زار الإقليم: "وقصدت السفر إلى توات ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام بين تكدا وتوات".[4] ويضيف في وصف المنطقة "ودخلنا بوده وهي من أكبر قصور توات، وأرضها رمال وسبخة، وثمرها كثير

[1] الحسن الوزان، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و آخر، دار الغرب الإسلامي، بيروت1983، ج2، ص 131.

[2] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص133.

[3] ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت1981، ج1، ص93.

[4] ابن بطوطة، تحفة الأنظار، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1980، ص 699.

ليس بطيب، لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت، وأن أكثر أكل أهلها التمر والجراد."[1]

كان ابن بطوطة، وهو يتحدث عن تلك المناطق، إنما كان يعني في حديثه تلك التجمعات السكانية، التي تمتد على طول الجزء الذي يضم الأقاليم الثلاث تيكورارين شمالا وعاصمته تيميمون، ومنطقة توات في الوسط وعاصمتها تمنطيط، التي تحولت إلى تيمي، ثم إلى أدرار، كبرى مدن مقاطعة تيمي، ومنطقة تيديكلت وعاصمتها عين صالح.

بينما أقصر ابن خلدون، اسم توات على المقاطعات الواقعة بمحاذاة وادي مسعود، الذي هو امتداد لوادي الساورة، أي على الجزء الغربي فقط لإقليم توات الكبير.

ومن الرحالة، الذين زاروا توات في العصر الحديث، وسجلوا ملاحظاتهم، ما أورده العياشي في رحلته خلال القرن 17م: "...ثم ارتحلنا منها (أي بني عباس) ودخلنا إلى عمالة توات (كان ذلك في يوم الخميس ربيع الثاني 1072هـ/1661م) وهي قرى ..وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح سيدي محمد بن الصالح المعروف بعريان الراس تلميذ الولي الصالح أبي الروائن".[2]

3-توات المصطلح المعنى والأصول:

تعددت الدراسات التاريخية، حول مفهوم مصطلح "توات" لغة ومعنى، ولذلك سنستعرض مختلف هذه الآراء، وترجيح ما نعتقد أنه الأصح، باعتماد المنهج التاريخي، الذي يعرض بالنقد والترجيح، للإشكالات التاريخية.

فالمرصاع، يذهب إلى أن توات اسم أمازيغي، لأحد البطون المنحدرة من قبيلة الملثمين، سكان الصحراء، حيث يقول:" والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب،

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص700.
[2] العياشي أبو سالم، رحلة العياشي، الطبعة الحجرية، فاس، ج1، ص 19 و ما يليها.

عرفوا بهذا الاسم، لأنهم يتلثمون بلثام أزرق، ومنهم طوائف التوارق ولمثة ولمتونة والتوات."

أما السعدي فيذهب مذهبا آخر، حيث يرجع أصل كلمة توات إلى لغة بلاد التكرور، والتي أطلقت عند سفر سلطان مالي كنكان موسى إلى الحج، حيث "مشى بطريق ولات في العوالي، وعلى موضع توات، فتخلف هناك كثير من أصحابه لوجع رجل أصابه في ذلك المشي تسمى توات (أي وجع الرجل) في كلامهم، فانقطعوا بها وتوطنوا فيها، فسمي الموضع باسم تلك العلة".[1] وحتى وإن صحت الرواية، فإنه ورد ذكر إسم الإقليم بفترات أقدم، من الفترة التي أوردها السعدي في حادثته، فكيف يستقيم ذلك.

أما مارتانMartin، فيرى أن كلمة توات، تعود في أصولها إلى كلمة"ouasis" الإغريقية، وتعني الواحة، وهي مركبة من مقطعين "ou"، الذي يتطابق مع "oua" الأمازيغية، الذي مفرده يتم بإضافة الحرف الأمازيغي "ث"، أي "t" لطرفي المفردة "oua"، على لهجة زناتة، فتصبح "touat "، بمعنى الواحة في اللغة الأمازيغية.[2]

وإلى ذلك يذهب روكليس Roclesse ومندوفيلMandoveil، حيث أخذ الأول برواية مارتانMartin، الذي اعتبر "توات" كلمة أمازيغية على لهجة زناتة. بينما ذهب الثاني إلى اعتبار أن المصطلح أمازيغي ولكن على لهجة صنهاجة، كما أنه لا يعني الواحة، وإنما أطلقه توارق صنهاجة على المنطقة الممتدة على طول واد مسعود، الذي هو امتداد لواد الساورا.

في حين يذهب محمد بن عومر البداوي، إلى أن عقبة بن نافع الفهري، عند غزوه بلاد المغرب، وأثناء عودته بواد نون ودرعة وسجلماسة، ولما وصلت خيله توات

[1] السعدي عبد الرحمن ، تاريخ السودان ، طبعة هوداس ، 1964 ، ص 7.

[2] Martin A.G.P ; Les oasis sahariennes, Alger et Paris, 1908, p.115.

سنة 62هـ/681م، سألهم عن هذه البلاد (أي توات)، هل تواتي لنفي العصاة الخارجين عن سلطته؟ فأجابوه بأنها تواتي، فأنطلق اللسان بذلك.[1]

وهذا الرأي مردود، لاعتبارات: أننا لم نعثر على مصدر يثبت وصول عقبة بن نافع الفهري إلى منطقة توات، أو حتى الوقوف على مشارفها، فحده منطقة سجلماسة. ثم السؤال الذي يبقى مطروحا، ما اسم الإقليم قبل مجيء عقبة، وقد ورد ذكره في أكثر من مصدر، كما أنه قد سكن منذ آلاف السنين؟

أما محمد بن عبد الكريم البكراوي، فقال أن القائد علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن، كانا يقبضان الأتوات على أهل توات عام 565هـ/1169م، فعرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، فصارت تدعى توات.[2] والرواية لا تستقيم كذلك، لأن اسم الإقليم وجد قبل 565هـ/1169م، في الكثير من المصادر التاريخية.

أما رواية مولاي أحمد الإدريسي الطاهري، فتتوقف عند المعنى اللغوي الظاهري، على أن المنطقة كانت تواتي العبادة.[3] وهذا لا يستند لأي دليل تاريخي أو لغوي، إنما هو مجرد تخمين، وتخريج لغوي للمصطلح، وبحث في معناه الظاهري الاشتقاقي، دون استعراض لأصول المصطلح وتاريخيته.

أما أحدث دراسات الإتيمولوجيا l'étymologie الجزائرية، التي فككت الجذر "aua-w"، فترى أن كلمة توات في اللغة الأمازيغية، تطلق على الأماكن

[1] البداوي محمد، نقل الروات عن من أبدع قصور توات ، مخطوط خزانة أبا سيدي جعفر ، زاوية سيدي حيدة ، بودة ، ص5. نقلا عن الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، من القرن 17إلى20م ، منشورات دار الثقافة لولاية أدرار، 2003، ص27.

[2] البكراوي محمد، ذرة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط خزانة أبناء عبد الكبير، المطارفة، ص3. نقلا عن الصديق حاج أحمد، مرجع سابق، ص27.

[3] الإدريسي مولاي أحمد، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط خزانة الشاري الطيب، كوسام، ص3. نقلا عن الصديق حاج أحمد، مرجع سابق، ص27.

المنخفضة، فتوات الجسم مثلا، هو الجزء الداخلي، الذي يقع تحت القفص الصدري، كما أن ثنايا أمعاء الحيوان يطلق عليها توات.[1]

وعليه فإن الأرجح، في رأينا، أن المصطلح يعود إلى فترة غلبة قبائل أمازيغ صنهاجة وزناتة على الإقليم، أما قبل ذلك ففقد يكون له اسم على لغة الجيتول قدماء التوارق والليفيتاي، الذين غلبوا على الإقليم قبل صنهاجة اللثام وزناتة، وليس أدل على ذلك من أن أسماء القصور اليوم معظمها أمازيغية صنهاجية زناتية، وعليه فمادام الفرع (القصور) صنهاجية زناتية، فالأولى الأصل(توات)، أن يكون أمازيغيا بلهجة توارق صنهاجة أو زناتة، مع بقاء المجال مفتوحا للدراسات، ولو أن ذلك لا يغير من الأمر شيئا، لأن المنطقة، عامرة اسما وساكنة، منذ فترة ما قبل التاريخ وهذا ما لا نشك فيه.

4–القبائل التي استوطنت توات:

بناء على ما سبق، يرجع أصل سكان إقليم توات، باتفاق المصادر القديمة والحديثة، إلى الأمازيغ الجيتول بفروعهم القديمة، كالتوارق والليفتاي، والذين كانوا أول من استوطن المنطقة الشمالية للقارة الإفريقية، إلى غاية أعماق الصحراء الكبرى، وذلك ما أثبتته الدراسات الأثرية في الطاسيلي والآهقار.

عمرت الإقليم قديما قبائل الصنهاجيين، واللواتيين، واللمتونيون، والزناتيون، هؤولاء الذين جعلوا من المنطقة واحات يقصدها أصحاب القوافل العابرة للصحراء الكبرى، حيث تتزود بالماء والتمر لمواصلة رحلتها، كما جعلوها نقطة تجمع قوافل الشمال، التي تقصد أسواق السودان الغربي.

استمرت حركية القبائل الأمازيغية، إلى المنطقة في العصور الوسطى، وذلك بسبب الصراع السياسي بين مختلف الممالك، التي قامت بشمال إفريقيا، عقب نهاية السيطرة الأموية، فيما يعرف بعهد الولاة، الذي لم يدم طويلا، حيث استعادت

[1] بوساحة أحمد، أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، دار هومة للنشر، الجزائر2002 ، ص79.

القبائل الأمازيغية زعامتها السياسية، وشكلت كيانات سياسية تعاقبت على حكم بلاد المغرب في العصر الوسيط، منها دولة الزيريين، والرستميين، والحماديين، والمرابطين، والموحدين، والحفصيين، والزيانيين، والمرينيين، مما أضطر بعض القبائل الأخرى، المعارضة للسلطة السياسية المحلية، إلى الفرار إلى توات.

ازدادت هذه الحركية أكثر بعد رحيل الفاطميين، ثم تضاعفت مع قيام دولة الموحدين، وما نتج عن ذلك من تعقب الموحدين لقبيلتي مغراوة وبني يفرن الزناتيتين، ومقتل أميرهم مسعود بن ونة المغراوي، حيث نزلوا بناحية تينكورارين، ووادي الحنة بالإقليم التواتي.[1]

لم تتوقف حركية القبائل الأمازيغية إلى المنطقة، طيلة العصر الوسيط، وخاصة خلال القرن 13م، بل أدى اشتداد الصراع بين مختلف هذه القبائل على الزعامة وانقسامها، إلى استمرار تسرب البطون الزناتية، التي كانت قد استوطنت الشمال نحو الجنوب، حيث استعان كل فرع بجيرانه من تلك القبائل القريبة منه، والمنتشرة في وسط الصحراء، من جهة الشمال لإقليم توات، وبذلك ازداد تطور وانتشار تلك القبائل في هذه المنطقة.[2]

إضافة للسكان الأمازيغ استقر الحراطين المعروفين بالمور السود، ويعتقد أن جزء منهم بقايا الجنس الأثيوبي، بالواحات الشمالية الغربية لإفريقيا، بعضهم ينتمون إلى شعب البافور Bafours، الذين سكنوا المنطقة قبل 2000 سنة، ولذلك يعتبرون مكونا أصليا في المنطقة، إلى جانب الأمازيغ الجيتول، وجزءهم الآخر هم أبناء العبيد، الذين جيء بهم من السودان الغربي.[3]

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق، ج 7، ص 117 و ما يليها.

[2] Mammeri Mouloud et autres; Le Gourara élément d'étude Anthropologique , p.242.

[3] Ould Saleck ElArby; les Haratins:le paysage politique Mauritanien, l'Harmattan, Paris-Budepest-Torino, 2003, p.153.

إضافة للسكان الأمازيغ والحراطين، حلت بتوات العناصر الزنجية، قادمة من السودان الغربي عبر هجرات، استقر بها المقام هناك، كما حل بالمنطقة دفعات من الزنوج العبيد، الذين اكتظت بهم الواحات، في إطار تجارة الرقيق، التي كانت رائجة إبان العصور الوسطى.[1]

أما العناصر اليهودية، فترجع دفعتهم الأولى إلى القرن 1م، وبالضبط إلى سنة 70م، بعد سقوط أورشليم، أما الدفعة الثانية فجاءت بعد فشل ثورة اليهود على الرومان سنة117م،[2] إضافة إلى توافد اليهود العراقيين والعرب في القرن 6 و7م، حيث نزلوا في توات وواد ميزاب.[3]

أما القبائل العربية فبدأت تتسرب نهاية القرن 13م، حيث وفدت إلى الصحراء الكبرى قبائل المعاقيل، وكانوا رعاة إبل، في مناطق شمال غرب الصحراء، وبحكم موقعهم الجغرافي، فقد استغلوا الخلافات السياسية الداخلية لدولة بني مرين، والصراع المحلي بين القبائل الزناتية والصنهاجية في إقليم توات، ليتوطنوا شيئا فشيئا بالمنطقة. كما هاجر في القرن 17م إلى المنطقة، بعض الأسر القادمة من تافيلالت، والتي تعرف اليوم بالشرفا.

حكمت منطقة توات خلال العصور القديمة والوسطى قبائل الجيتول التوارق واللواتة واللمتون، وفي الفترة الإسلامية، ونظرا لبعد توات عن مراكز السلطة في شمال إفريقيا، فقد حكمتها جماعة صنهاجة اللثام مؤسسي الدولة المرابطية وجماعة زناتة، القائمة على المشيخة، تحت نفوذ تلمسان، على الأقل إلى حدود تمنطيط، حيث

[1] جوليان شارل أندري، تاريخ شمال إفريقيا، ترجمة المنجي سليم وآخرون الدار التونسية للنشر ، تونس 1976، ج2.

[2] Babo Daniel; Algérie des hommes et des lieux, Ed Le Sureau, 2010, p.150.
وتعرف باسم ثورة المنفيين، أو حرب كيتوس Kitos، بين 115-117م، وامتد لهيبها من الإسكندرية حتى برقة وقبرص، حيث قضى عليها القائد الروماني ليسيوس كيتوس Lusius Quétus. ينظر:
Dion Cassius; histoire Romaine, Livre LXVIII, pp.17-29-30.

[3] Mimouni (Simon Claud); Le judaisme ancien du 6 siècle avant notre ère au 3 siècle de notre ère, Paris 2012, pp.830-831. Et Encyclopédie Berbère, matière: Judaisme , article: les juifs au Sahara.

تنتشر فروع زناتة، يؤكد ذلك ما قاله ابن خلدون:"ومن مطغرة بتوات قبيلة سجلماسة إلى تمنطيط آخر عملها قوم كثيرون. ومن مطغرة في قبيلة تلمسان، مصر كبير بالصحراء، ضاح عن ظل الملك والدول لبعده في القفر".[1] حيث سيطر على توات بعض فروع زناتة الصفرية، وبذلك أصبحت المنطقة في يد قبيلة مكناسة بني مدرار الصفريين بسجلماسة، التابعين للرستميين بتهرت.[2] وأصبحت بذلك توات تابعة للدولة الرستمية في مكوسها.

استمرت توات منطقة نفوذ تلمسان بيد شيوخ القبائل الزناتية، إلى غاية نهاية القرن 16م، وبالضبط في 1581م، وفي إطار مشروع الإمبراطورية، تمكن أحمد المنصور الذهبي، سلطان السعديين، الذي حكم بين 1578-1603م، من بسط نفوذه على الإقليم، إثر حملة قادها محمد بن بركة، وأحمد بن الكداد العمري المعقلي، وأرغما القبائل الزناتية والصنهاجية على دفع الضرائب، فكانت بذلك أول مرة تخرج فيه المنطقة عن سلطة المشيخات القبلية، لصالح قبائل المعاقيل المتحالفين مع السعديين.[3]

إن منطلق التأسيس لأحقية تاريخية، في المنطقة الغربية للصحراء الكبرى (الساورة-توات-موريطانيا- الصحراء الغربية)، من عهد المنصور الذهبي، منطلقا غير مؤسس، كون ساكنة المنطقة تربطها علاقات الجوار القبلية، المتعالية على الحدود المصطنعة، والقائمة على القرابة القبلية والدينية والمبادلات الاقتصادية، فيما يعرف بالتجارة العابرة للصحراء. أما منطقة توات فقد شكلت قبائل المعاقيل، ضمانا مؤقتا للنفوذ السعدي ثم العلوي، بعد فترات من النفوذ التارقي والزناتي، والذي يمتد من فترات ما قبل التاريخ وإلى اليوم.

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 142.

[2] Bellil Rachid; Op Cit, pp.92-93.

[3] جوليان شارل أندري ، تاريخ شمال إفريقيا، ترجمة المنجي سليم وآخرون الدار التونسية للنشر ، تونس 1976، ج2 ، ص 250 .

لم تدم سلطة السعديين على المنطقة طويلا، فقد انهارت بانهيار دولة المنصور وصراع خلفائه من بعده، فقد تنازع الملك من بعده أبناءه الثلاث، مولاي زيدان الذي بويع بفاس، وأبو فارس بمراكش، ومحمد الشيخ المأمون، الذي تمكن من السيطرة على السلطة.

على الرغم من أن المغرب العلوي، ظل يحكم المناطق الصحراوية والسودان الغربي عن طريق البشاوات إلى غاية 1750م،[1] إلا أنه في حقيقة الأمر لم يبق للعلويين من نفوذ على الإقليم إلا الاسم، حيث استعادت القبائل الصنهاجية والزناتية والعربية استقلالها، وخرجت عن طاعة وسلطة المخزن، خاصة بعد وفاة مولاي إسماعيل، الذي حكم بين 1672-1727م، حيث انهارت دولته بسبب الصراع الداخلي بين خلفائه، والذين أصبحوا تحت وطأة وكلاء المخزن وجيش العبيد(جند البخاري).[2]

وبذلك استعادت توات استقلالها عن العلويين، حيث ظل الإقليم تحكمه الجماعة، طيلة القرن 18م، ولم تلتفت حكومة مخزن مراكش للإقليم إلا في القرن 19م، حينما سقطت حكومة الدايات سنة 1830م، وأمام تخوف سكان المنطقة من التقدم الاستعماري في الصحراء الكبرى، دون وجود سلطة سياسية قوية بالمنطقة، قادرة على صد التوغل الفرنسي، عملت مراكش على استعادة نفوذها من القبائل المحلية، واتخاذها حاجزا متقدما، لصد القوات الفرنسية عن التوغل، نحو حدودها بسجلماسة.

وعلى هذا الأساس، نلاحظ اليوم أن مطالب المخزن في إقليم الساورة وتوات، ترتكز تاريخيا، على مرحلة غزوه للصحراء، في الفترة الممتدة بين القرنين 17-18م، أو تلك المرحلة التي سبقت الغزو الفرنسي للمنطقة، ولذلك يتم التركيز على المصادر، التي تعود لتلك الفترة كرحلة العياشي، أو المصادر الفرنسية، وعلى رأسها

[1] جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ج2 ، ص 273 .
[2] جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ج2 ، ص.

كتاب "أربعة قرون من تاريخ المغرب" للضابط مارتانMartin، والذي يقول المخزن عنه أنه محايد، حيث أكد سلطة مراكش على توات، عندما دخلها ضابطا في الجيش الفرنسي سنة 1900م.

خصص صاحب كتاب "توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب"، فصلا سماه "مظاهر مغربة إقليم توات"،[1] وحاول أن يؤسس كرونولوجيا لقياد الأسرة السعدية والعلوية، لكن اقتصر تأريخه على الفترة الممتدة بين 1526-1604م، ثم بين1647-1800م.[2]

إن مجموع المراسلات والضهائر، التي نصب من خلالها نقباء وبشاوات، تابعين للأسرة العلوية على المنطقة، أو نظام الأمناء، الذي أحدثه السلطان مولاي سليمان بين 1790-1800م، أو قياد المخزن، الذين أرسلوا من فاس، أو القضاة الذين عينوا بمراسيم ملكية، أو الوثائق والمراسلات، التي تعود إلى ما بعد 1830م، كتلك التي بعث بها سلطان مراكش الحسن الأول، إلى أعيان توات سنة 1891م، أي قبيل دخول الفرنسيين المنطقة، ودعا الأعيان إلى تنظيم شؤون البلاد، وتعيين القياد منهم، كلها تقتصر على مرحلة من حكم العلويين.

5-قصور توات:

يقطن سكان توات في واحات تسمى "القصر"، وجمعها قصور، مركزها القصبة، التي تأخذ شكلا مربعا أو مستطيلا، مع أبراج مربعة الزوايا، مرتبطة بجدران تكون الواجهة، أما السور الخارجي المخصص للتحصين والدفاع، فهو عالي في

[1] العماري أحمد، توات في مشروع التوسع الاستعماري الفرنسي بالمغرب من 1850 إلى 1902، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، ط 1988، ص – ص 37-61. مع ما حواه الكتاب من بعض المغالطات، إلا أنه يعتبر، في رأينا، دراسة مهمة وجادة.

[2] العماري أحمد، المرجع السابق، ص–ص 38-41.

مستوى طبقتين أو ثلاث طبقات، محاط بخنادق من الخارج، مشكلة بذلك ما يشبه القلاع الإقطاعية الأوروبية في العصور الوسطى، ولو أنها بدائية وأقل جمالا وتحصينا.

تضم القصور كل المجموعات السكنية، التي سبق ذكرها، منفصلة أو ممتزجة، فالقبائل الأمازيغية بنت لها قصورا، منذ استقرارها بالمنطقة، واتخذت هندسة معمارية خاصة بها، وقد اختلف المؤرخون القدامى حول عددها في تلك الفترة، كما أن هذه القصور، ازداد عددها باستقرار الزنوج، ثم قبائل المعاقيل، التي تحولت شيئا فشيئا، من البداوة والرعي والتنقل إلى الاستقرار، ولذلك فالدراسات التي تتناول الموضوع، اعتمدت الإحصاءات التقريبية، التي وردت في الكتابات الفرنسية.

تضاربت إحصاءات قصور توات، بين مختلف المصادر، فتلك التي تعود إلى القرن 19م، قدرتها بين 300-343 قصرا، تضم حوالي مائة وخمسة وخمسون (155) ألف نسمة، وذلك حسب إحصاء سنة 1900م، أي بعيد احتلال عين صالح، والذي قدمه الضابط فلاماند(Flamand).[1]

بعد إتمام فرنسا احتلالها لبقية الإقليم سنة 1902م، قدر الضابط كوتيي(Gautier) عدد سكان الإقليم بمائة وعشرون (120) ألف نسمة منهم خمسون (50) ألف نسمة مستقرون، وستون (60) ألف نسمة رحل متنقلون، و سبعة (7) ألاف نسمة من سكان الساورة، و ثلاثة (3) ألاف نسمة من سكان حوض واد الزوزفانة، وقبل ذلك كان صباتيSabatier، قد قدر عددهم سنة 1891م، بـ 298ألف نسمة، بينما الضابط قوردن Gordeng، فلم تتجاوز تقديراته 32ألف نسمة،[2] وترجع هذه الاختلافات، إلى أن الرحالة والضباط، لم يصلوا إلى كل المناطق والقصور، ولذلك جاءت أرقامهم تقريبية.

[1] Encyclopédie Image Mundi; article histoire de Touat.
[2] Zimmermainn Maurice; la France dans le Sahara:l'occupation d'In Salah la mission Foureau- Lamy, Annales de géographie, A1900, V9, N44, p.181.

كما قدر في إحصاء 1902م، عدد النخيل بمليون و2/1 مليون نخلة، ومليون جمل، وعليه قدرت فرنسا الضريبة، التي فرضتها على الإقليم بثلاثمائة (300) ألف فرنك، وهو رقم هزيل لم يكن يستجيب لطموح الفرنسيين، من وراء احتلالهم للمنطقة.[1]

5-1-قصور تينقورارين:[2] تيجورارين كلمة أمازيغية، تطلق على المنطقة الواقعة إلى الجنوب من العرق الغربي الكبير، تحدها هضبة تادميت من الجنوب. تضم ست وثمانون (86) واحة وقصرا، عاصمتها واحة تيميمون، التي اتخذتها السلطات الفرنسية مركزا عسكريا وإداريا. ويبلغ عدد سكان الإقليم على حسب التقديرات بين 75-100 ألف نسمة خلال القرن 19م، يتوزعون على قصور تسكنها قبائل زناتية في معظمها وهي:[3]

-قصور قوراره تضم (11) قصرا هي: تلمين الحاج-دلمال-باب يد-سموطة-مراد-مغمورة-فرعون-ابن عيسى-بدريان-يغزا-الكاف.

-قصور أولاد سعيد وتضم (10) قصور هي: بدارة-لازورة-أولاد عبدلي-قمنتزات-أولاد هارون-كلي-سفحان-الأحمر-كنتوره-أنملاد.

---

[1] حول إحصاءات كوتيه Gautier، ينظر:

Gautier Emile Félix, Sahara Algérien, Ed Payot, Paris, 1928.

[2] Tigorarine أو Gorara، سلسلة واحات، يحدها العرق الغربي شمالا، توات العليا والسفلى والساورا غربا، وهضبة تادميت شرقا وجنوبا، قدر عدد سكانها سنة 1956م، ب25ألف نسمة، وحول الإحصاءات الجغرافية والطوبوغرافية لقورارة بين 1926-1955م، ينظر:

Bisson Jean; Le Gourara étude de Geographie Humaine, I.R.S, Universite d'Alger, 1955, p 35 et suit.

[3] العماري أحمد، المرجع السابق، ص – ص 21-23. ونظرا لاعتماد المؤلفين المحدثيين على المصادر الفرنسية، فإن أسماء القصور مترجمة، ومن ثم يختلف أو يحور اسم القصر عن المنطوق اليومي الحالي، بسبب اختلاف الترجمة، والحروف وما يقابله من لغة إلى أخر(فإسم القصر أمازيغي وترجم إلى الفرنسية ثم إلى العربية)، كما نشير إلى أن نطق أسماء القصور يعود إلى فترة كتابتها على يد المستكشفين الأوروبيين وليس بالضرورة المنطوق في وقتنا الحالي .

-قصور تيميمون، وتضم (26) قصرا هي: اتللت-زقور-تورياء-ماسين-أولاد الحاج-تزكنت-تيميمون الكبرى-تدمايت-أولاد المهدي-قصبة القايد-أولاد يحي-أولاد إبراهيم-تلان حم-أعلملال-واعمني-أغناث-أولاد نوح-الزاوية-بني مهلال-ليشت-أغنات-بني ملوك-أولاد علال-توريست-تمانة-الوجدة.

-قصور أوقروت، وتضم (6) قصور هي: بوكمة-الشارف-عالية-الزاوية-أقيور-أعبود.

قصور الخنافسة، وتضم (6) قصور هي: ابن عباد-تيرغمن-قصر الحاج-تاله-زاوية سيدي عبد الله-تنقلين.

-قصور دلدول، وتضم (12) قصرا هي: أولاد عبد الصمد-توكي-البركه-الحربان-المنصور-أولادعبو-أورير-أقبور-الساهلا-وامران-أولاد محمود-كبرتن.

-قصور الدغامشة: وتجمع (5) قصور هي: أولاد راشد-أولاد علي-القراشة-الساهلا-المطارفة.

قصور تيبت وتجمع (10) قصور هي: عريان الراس-إبرتيكان-حمادي-أعمور-الأعياد-وجلان-لمعيز-الهبلا-السبع-الكراره.

5-2-قصور توات العليا والسفلى:[1]

وأول منطقة توات العليا والسفلى تبدأ مع واد مسعود، وأولها قصر بوده شمالا، وعاصمتها تمنطيط قديما ثم تحولت إلى تيمي فأدرار، حيث اتخذها الفرنسيون مركزا عسكريا وإداريا عاما لقواتهم بإقليم توات، وذلك بسبب موقعها على الطريق الرئيسي، الذي يتحكم في طرق المواصلات، التي تربط شمال إفريقيا بإفريقيا جنوب الصحراء.

[1] عدد قصور توات العليا والسفلى، حسب Wikipédia.org، (156) قصرا تتوزع كما يلي: بودة(12)-تيمي(39)-تمنطيط(5)-بوفادي أولاد الحاج(4)-تاسفاوت(17)-تامست(14)-زاوية كنته(24)-أنزجمير توات الحنة(13)-سالي(13)-رقان(15).

بلغ عدد سكان هذه المنطقة في القرن 19م، بين80-150 ألف نسمة على اختلاف التقديرات، يتوزعون على مائة وأربعة عشر (114) قصرا يقطنها أمازيغ وسود وعرب وهي:[1]

-**قصور بوده وتضم (13) قصرا هي:** القصيبة-غمارة-أولاد يعيش-العماريين-أبار-أولاد نجل-ابن دراع-زاوية ابن يل-ودرار-بني وازل-غرام علي-الزاوية-المنصور.

-**قصور تيمي: وتضم (32) قصرا هي:** تنيلان-واينة-ميمون-ملوكه-بوزات-كيسان-بربع سيدي المهدي-بربع سيدي التاقي-بربع أولاد سيدي أحمد-بربع المرابطين-زاوية كرزاز-بربع أبا أزور-أقديم-عرك-كراره-أدغاغ-أولاد أنقال-أولاد أوشن-أولاد علي-أولاد احمر-بردان-أولاد ابراهيم-بني تامر-المنصورية-أقبور-أولاد بوحفص-مهدية-أولاد عمور-أولادعيسى-أولادعرسة-باعبدالله-زاوية سيدي البكري.

-قصور تمنطيط، وتضم (3) قصور هي: قصبة أولاد الحاج المامون-أمكير-بالحاج.

-قصور بوفادي، وتضم (4) قصور هي: توكي-القصر الكبير-بنكور-بمناس.

-قصور فونغيل، وتجمع (14) قصرا هي: تاسفه-أعباني-العلوشية-ودغة-بنهمي-عنري-المنصور-مكره-قصبة أولاد مولاي الحسن-أولاد برشيد-قصيبة الأحرار-قصبة أولاد مولاي بوفارس-زاوية سيدي عبد القادر-سيدي يوسف.

-**قصور تامست، وتضم (12) قصرا هي:** باعمر-أولاد بويحي الفوقانية-أولاد بويحي السفلانية-الأحمر-كيس-تماسخت-الجديد-أولاد عنتر-تمالت-أغبال-أدرار-تيطف.

[1] العماري، المرجع السابق، ص –ص 26-28.

-**قصور أولاد سيدي حم بن الحاج، وتجمع (16) قصرا هي:** غزماين-توريران-زاغلو-الأبيض-أولاد الحاج البرج-زاوية كنته-تبركانت-تخفيفت-المناصر-تزولت-زاوية سيدي بن عبد الكريم-بوعلي-تطوان الشرفا-مكير-المحفوظ-آدمر.

-**قصور رسامي، وتضم (3) قصور هي:** أعمر ملال-أزوا-بوانكي.

-قصور أنزجمير، وتتكون من (11) قصرا هي: زاوية بلال-تدماين-الخلفي-تطوان الخراس-تلولين-تبنورت-أولاد باح-أنزكلوف-تمدنين-أبريش-زاوية لحشف.

-**قصور رقان، وتجمع القصور الستة (6) الآتية:** آيت مسعود-تنولفات1-تنولفات2-تعرابت-انتهنت-توريريت.

5-3-قصور تيديكلت:[1]

تيديكلت كلمة أمازيغية، تعني كف اليد، تطلق على المنطقة الواقعة جنوب غرب منطقة توات العليا والسفلى، تحدها هضبة تادميت شمالا، وهضبة مودير وأهنات جنوبا، والطاسلي نجار شرقا. يخترقها واد أقرابا، الذي يصب في واد مسعود، يقدر عدد سكانها في القرن 19م، بين 20-25 ألف نسمة، موزعين على ست وخمسون (56) قصرا، تغلب عليها قبائل صنهاجة وزناتة، والسود، وبعض الشرفا.[2]

عاصمة تيديكلت مدينة عين صالح، التي كانت ملجأ لتوارق الأهقار، وأهل أدرار أحنات، وتكمن أهميتها التجارية، في كونها طريق القوافل المتجهة نحو تونس وطرابلس الغرب عبر غدامس[3]. و أهم قصورها:

-**قصور أقبلي، وتضم (4) قصور هي:**ساهل-أكشاش-المنصور-قصبة سيدي العابد.

[1] العماري، المرجع السابق، ص –ص 30-31.

[2] Wikipidia, matière Tidikelt.

[3] جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص 273.

-قصور إينغر، وتضم (4) قصور هي: قصبة أولاد حلول-قصبة أولاد حادكه-الكحل-مليانة.

-قصور الحمادة، وتجمع قصرين اثنين (2) هما: الزغامرة-لوكرت.

-قصور أعراب تيديكلت، وتجمع (13) قصرا هي: تمكطن-قصبة سيدي ملوك-زاوية مولاي هبه-قصبة مولاي الطاهر-قصبة مولاي عبد الله-أولف الشرفا-تقرف-الجديد-قصبة حبادات-قصبة أبلال-زاوية حينون-قصبة أمانات-قصبة أولاد الشابل.

-قصور عين صالح، وتتكون من (11) قصرا هي: أولاد المختار-قصر أولاد أب جود-قصرأولاد بلقاسم-قصر أولاد الحاج-زاوية الماء البركة-حاسي الحجر-إقسطن-الساهلا-مليانة مفازة الزوا-مطرون-بلبل.

-قصر تيط، ويعرف بقصبة الشرفا.[1]

6-توات والرحلات الأجنبية خلال القرن 19م:

لم يكن الاهتمام الأوروبي بإقليم توات وليد القرن العشرين، وإنما يعود إلى البدايات الأولى للرحلات الأوروبية بالصحراء الكبرى، بعد أن ظلت تلك الرحلات مقتصرة على نهر النيجر وحوض السينغال، لمدة ليست بالقصيرة.

البدايات الأولى:

لم تكن الصحراء، بشساعة أراضيها، وصعوبة مسالكها، وقساوة مناخها، أمرا هينا بالنسبة للمغامرين الأوروبيين، رغم أنهم أشاروا في أكثر من مرة، إلى أن احتلال هذه المناطق، سيتم بأقل التكاليف، بسبب قلة السكان، وبدائية أسلحة

[1] في إحصاء آخر للقصور فقارة الزوى 15قصرا-عين صالح 12قصرا-إينغر 7قصور- تيط قصرين 2-أولف 9قصور-أقبلي 7قصور. وحول تيديكلت ينظر
Voinot Louis; le Tidikelt étude sur la géographie l'histoire, les mœurs du pays, ed Jacque Gandini.

القتال عند قبائلها، ولذلك دعوا حكوماتهم إلى الإسراع لاحتلال تلك المناطق، لتسهيل ربط مستعمرات شمال إفريقيا، بمثيلتها في القارة السمراء.

ولذلك فإن الرحلات الاستكشافية، التي بدت في ظاهرها بعثات علمية، لم تكن سوى مقدمة، لإستراتيجية بعيدة المدى، هدفها النهائي استعمار المنطقة، ولهذا تأسست جمعيات جغرافية وعلمية،[1] أخذت على عاتقها التموين والإشراف على تلك الرحلات، ونشر أخبارها في شكل تقارير،[2] وكانت بريطانيا سباقة في ذلك، حيث أسست "الجمعية الإفريقية" سنة1788م، والتي أشرفت على رحلة هورن مان ولوكاس وليد بارد.[3]

هذا وبحكم كثرة الرحلات الاستكشافية وتعدد المغامرون، وامتدادها على طول الصحراء الإفريقية الكبرى، فإننا سنقتصر على عرض تلك التي وصلت إلى توات (أدرار)،[4] أو عبرت منه، أو جالت على مشارفه، وسجلت طبوغرافيته وأنثروبولجيته.[5]

اقتصرت رحلات المغامرين الأوروبيين في القرن 18م، على محاولات اختراق الصحراء من الجنوب، أي من حوض النيجر وحوض السنغال، وذلك طبيعي بحكم

---

[1] *حول هذه الجمعيات الجغرافية ينظر:*

Legeune Dominique; Les Sociétés de Géographie en France et l'éxpansions coloniale au XIX siécle, Albin Michel, Paris, 1993.

[22] من ذلك رحلة فانسان ينظر:

Vincent Hénri; Voyage d'éxploration dans l'Adrar Sahara Occidental, Revue Algérienne et colonial, Paris, 3eme série, N4, Octobre, 1860, pp 445-494.

[3] زاهر رياض، استعمار القارة الإفريقية واستقلالها، ط 1966 ، ص 110.

[4] استخدم المستكشفون والرحالة الأوروبيون أسم أدرار ثم توات لاحقا، من ذلك رحلة فانسان Vincent Hénri ينظر:

Vincent Hénri; Voyage d'éxploration dans l'Adrar Sahara Occidental, revue Algérienne et colonial 3eme série, N4, Octobre 1860.

[5] حول مشاريع استكشاف الصحراء بالتفصيل ينظر:

Kehl George; Exploitation et pénétration Saharienne dans la première moitié du XIX siècle, Bulltun de Sociologie et de Géographie et d'Architecture, Oran 1953, p 5 et suite.

سيطرتهم على مناطق وسواحل إفريقيا الغربية، منذ فترة الكشوفات الجغرافية. حيث قام المغامر الجينوي أنطونيو مالفونتAntonio Malfante برحلة إلى حوض النيجر عبر توات،[1] ثم جاءت رحلة هورن مارن سنة1788م، ورحلة الميجر هيوتون1790م، الذي كان قنصلا لبريطانيا في مراكش، وقد بدأ رحلته سنة1790م من مصب نهر غامبيا، ورحلة الاسكتلندي مونغو بارك، الذي كلف بجمع معلومات عن نهر النيجر، فانطلق من ساحل غامبيا سنة1795م، وبعد سنة من الرحلة، كتب يحث الحكومة البريطانية، على احتلال هذه المناطق للاستحواذ على خيراتها وثرواتها، التي لاحظ أنها متنوعة وعظيمة، كما قدم في كتاب ألفه عن رحلته، أخبارا وملاحظات جغرافية وحضارية حول إفريقيا، ما دفع الحكومة البريطانية للاتصال به، وتدعيم رحلته الثانية، التي بدأها في جانفي 1805م من غامبيا.[2]

كان لنجاح هذه الرحلات، الدور الأكبر في ازدياد التنافس الاستعماري على المنطقة، حيث جهزت بريطانيا سنة 1822م، رحلة ضمت الدكتور أودني، والملازم كلابرتون والنقيب ديكسون دينهام، انطلاقا من طرابلس الغرب باتجاه نهر النيجر ثم بحيرة التشاد. كما استطاعت بعثة لاندر، سنة 1830م، والتي أشرفت عليها "الجمعية الإفريقية"، من اكتشاف مصب نهر النيجر، كما كانت الجمعية قد مولت سنة 1825م، رحلة النقيب غوردون لانغ Alexander Gordon Laing، انطلاقا من طرابلس الغرب حتى تمبوكتو، حيث قتل هناك سنة 1826.[3]

توات ورحلة رونييه كاييهRené Caille:

ظلت الرحلات الاستكشافية الأوروبية إذن تركز عملها على إفريقيا السوداء ومناطق التجمع السكاني وأماكن تواجد الثروات الطبيعية أكثر من اهتمامها

[1] مجموعة من الباحثين، الواقع الأنثربولوجي للصحراء الجزائرية في استراتيجية المشاريع الاستعمارية خلال القرنين 19-20م، وحدة بحث بجامعة أدرار، غير مطبوع، ص 10.

[2] زاهر رياض، استعمار القارة الإفريقية واستقلالها، ط 1966 ، ص 111 وما يليها.

[3] هو ألكسندر قوردن لانغ(*1796-1826*)Alexander Gordon Laing ينظر: Wikipedia.org, liste d'éxplorateurs

بالصحراء ولذلك لم ترد إشارات عن إقليم توات ولعل أول ذكر لهذا الإقليم كان في رحلة الفرنسي رونييه كاييهRené Caille.

انطلقت رحلة رونييه سنة 1816م، على متن باخرة لالوار، التي توجهت إلى السينغال، وذلك بعد فشله في الانضمام لرحلة النقيب غراي توجه إلى غوادلوب بجزر الأنتيل، ثم رجع مرة أخرى إلى السينغال في 1818 ليلتحق برحلة غراي لكنه فشل مرة ثانية، فقرر أن يقوم برحلة عبر الضفة اليمنى لنهر السينغال، وحاول أن يصل إلى تمبوكتو، لكنه تعرض لمصاعب جمة بسبب عدم تلقيه دعما حكوميا، فاستقر في مدينة تيمي بتوات الوسطى، حتى شفي من مرضه، ثم انطلق في جانفي من سنة1828م، نحو جينه وكابرا، حتى وصل إلى تمبوكتو يوم 20أفريل1828م، ودون ملاحظاته عن هذه الحاضرة، التي مكث بها أربعة عشر يوما، فكان أول من عرف الأروبين بها، وبذلك استحق جائزة الجمعية الجغرافية الباريسية، والتي قدرت بـ10آلاف فرنك.[1]

في 4 ماي 1828م، غادر رونييه تمبوكتو مع قافلة متجهة إلى إقليم مراكش، فعبر توات، وتافيلالت، وفاس، والرباط، حتى وصل طنجة في 7ديسمبر1828م، حيث كان نائب القنصل الفرنسي في استقباله، ومنها توجه إلى طولون الفرنسية قبل نهاية السنة.[2]

كانت رحلة رونييه كاييهRené Caille، أول رحلة أروبية فرنسية مهمة بالجنوب الغربي الجزائري، بما حصلت عليه من معلومات جغرافية وأنتربولوجية، ساعدت، ولا شك، المصالح الفرنسية الرسمية، المكلفة بوضع استراتيجيات للتوسع الاستعماري، في بدأ عمليات الغزو للصحراء الجزائرية، في جزئها الغربي.

[1]Jonard Edme Français; Remarques et Recherches Géographiques sur le voyage de Callié dans l'Afrique centrale, imp Royel, Paris 1830, pp355-357.

[2] Callié René; Mémoires extraits analyse et rapports, T15, pp101-114.
و مياسي إبراهيم ، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912 ، منشورات متحف المجاهد، الجزائر 1996 ، ص 46 وما يليها.

رحلة هنري بارثHenri Barth:

لما عرفت بريطانيا بما حققته رحلة كاييه، كلفت الرحالة جون دافيدسون سنة1836م، بقيادة بعثة من المغرب الأقصى باتجاه تومبوكتو، لتوسيع المعلومات حول المناطق الصحراوية، التي تفصل شمال إفريقيا عن حوض النيجر، لكن الرحلة لم تكتمل حيث قتل دافيدسون في واحة تندوف، من طرف قطاع الطرق.

بعدها جاءت رحلة الألماني هنري بارثHenri Barth، وجيمس ريتشاردسون، وأوفروانغ، الذين انطلقوا من طرابلس الغرب باتجاه نهر النيجر، في 24 مارس 1850م، لكنهم تفرقوا عند نقطة بورنو، فتوجه بارث نحو الغرب إلى كاسينا، فكوكوتو، ثم عبر نهر النيجر، حتى دخل تومبوكتو في سبتمبر 1853م، ومكث فيها ثمانية أشهر، ثم رجع إلى طرابلس عبر طريق آخر، غير الذي جاء منه، فمر بساي، و كوكا، ودخل طرابلس مجددا، في أوث من سنة 1855م.[1]

وفي 1865م، كتب مقالا،[2] حث فيه الحكومة الفرنسية المتواجدة بالجزائر، على القيام بعمل جبار وواسع في الصحراء الكبرى، للاستحواذ عليها وربطها بممتلكاتها في الشمال. كما نصحها بتوجيه حملات استطلاع واستكشاف، تكون مهمتها تفهم عقلية سكان هذه المناطق، كما دعاها إلى ضرورة تنويع أساليب سيطرتها بين الترغيب والترهيب، وأن تحمل السيف والبندقية في يد، والكتاب والقلم في يد أخرى، كما نصحها بعدم المساس بمعتقدات وديانات السكان، خاصة المسلمين منهم، وأن تحسن اختيار روادها، وبذلك فقط يمكن أن تتحصل على نتائج باهرة في المنطقة.[3]

الرحلات الاستكشافية:

[1] Dr Henry; voyages et découvertes dans l'Afrique Septentrionale pendent les années 1849-1855, Td Paul Ithire, Paris 1860.

[3] صدر المقال في نشرة الجمعية الجغرافية بباريس، تحت عنوان:
idées sur les éxpéditions scientifiques en Afrique.

[3] مياسي إبراهيم ، المرجع السابق ، ص – ص 49-50.

بعد أن وصلت هذه الملاحظات للسياسيين الفرنسيين، القائمين على مشروع التوسع الفرنسي في إفريقيا، ولتحقيق الشروط التقنية والسياسية، للتمهيد للعمل العسكري،[1] مون الفرنسيون سلسلة من البعثات الاستكشافية، في الجزء الأوسط، والقسم الجنوبي الغربي للصحراء، و منها منطقة توات.

كان ظاهر هذه البعثات علمي، حيث ارتدت لباس الاستكشاف والمعرفة والمغامرة،[2] وباطنها الاطلاع على الأوضاع السياسية والإمكانات البشرية والاقتصادية للمنطقة، حتى يتمكن القادة العسكريون، من وضع وتحديد إستراتيجية متكاملة للغزو والاحتلال.

يؤكد ذلك الطبيعة العسكرية لتلك الحملات، سواء من حيث قيادتها، حيث أسند معظمها إلى ضباط عسكريين، أو من حيث طبيعة تكوينها، حيث تشكلت من جنود في قوات الجيش الفرنسي.

تعتبر رحلة الضابط دوكولومبDe Colombe،[3] القائد الأعلى لدائرة البيض، بأمر من الجنرال دوريوDoryo، قائد شعبة معسكر، أبرز الرحلات، التي وجهتها فرنسا إلى الجنوب الغربي الجزائري، وكانت تتكون في غالبيتها، من قناصة دائرة البيض، التابعين للجيش الفرنسي، وبعض رجال الشعانبة كمرشدين في مسالك

[1] تحول الاستكشاف، إلى مشروع احتلال، في رسالة للاستسلام، التي وجهتها فرنسا، إلى سكان المنطقة، بتاريخ 1900/01/31م، ينظر:

Tillon (G); La Conquete des Oasis Sahariennes 1900-1901, Paris 1903, p.25.

[2] *Marchand Max; Histoire Abrégée de l'Algérie partie Sahara, Mars 11957, p.12.*

[3] *Decolombe (M); L'éxplorations des ksours et du sahara de la province d'oran, Ed callamel, Paris 1858 p. 58.*

الصحراء الوعرة، ذلك أن البعثة كانت تحت حماية الخليفة سي حمزة، زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة.[1]

انطلقت الرحلة في بداية جانفي1856م، وكانت وجهتها الوصول إلى قصور تنكورارين، وتوات الوسطى، وتيديكلت. ورغم قصر مدة هذه الرحلة، التي لم تدم سوى خمسة وعشرين (25) يوما، إلا أنها تركت انطباعا حسنا لدا القائمين عليها، على الرغم من أنهم لمسوا الصعوبات الكبيرة، التي تنتظر القائمين على مشروع الاحتلال، بسبب الظروف الطبوغرافية، فقد وصف دوكولومب تلك المناطق، بأنها جزر خضراء في محيط النار.[2]

في عام1857م، وبمساعدة سي حمزة دائما، تمكن الضابطان كولونيوColonien وبورينBorin، التابعان لدائرة البيض، من القيام برحلة إلى توات، وتمكنا من وضع خرائط للمناطق التي حلا بها.

لم تقتصر الرحالات الاستكشافية، على الفرنسيين فحسب، بل قام بعض الجزائريين المقربين من الإدارة الاستعمارية، برحلات مشابهة، من ذلك بعثة بوضربة، التي وصلت إلى غات في مالي، بأمر من الوالي العام بالجزائر، والذي قرر بعد نجاح هذه البعثة أن يرسل أخرى، ولكن هذه المرة تحت قيادة الفرنسي هنري دوفيرييهHénri Duveyrier، لكي يعرف رد فعل السكان المحليين، الذي انطلق في 8 ماي 1859م، من مدينة سكيكدة إلى قسنطينة، ثم توجه إلى بسكرة، فغرداية، فمتليلي، ليصل المنيعة في مطلع سبتمبر من نفس السنة، ورغم أن الحملة كانت تحت رعاية فرنسية، وبالرغم من أنه كان يحمل رسالة توصية من قائد أولاد سيدي الشيخ سي حمزة، إلا أنه لم يرحب به، بل احتجز ليوم، ثم طلب منه مغادرة المنيعة، فرحل باتجاه الغرب، وتعرف بذلك على الطريق الشرقي والغربي بين المنيعة

[1] استغلت فرنسا النزاعات بين زعماء قبائل أولاد سيدي الشيخ لتسهيل تدخلها في توات ينظر: الواعي محمود، ثورة أولاد سيدي الشيخ والقبائل المؤيدة لها، مجلة الجيش، العدد 404، لمارس 1997، ص 2 وما يليها.

[2] Decolombe (M); Loc Ccit, p. 59.

ومتليلي، ووصل غرداية، ثم توجه نحو الأغواط، وكان في نيته توات وبلاد التوارق، لكن بعضهم نصحه بأن الطريق وعرة وغير آمنة، ويترصد قطاع الطرق مارتها، ما جعله يتوجه صوب القرارة، ومنها قفل راجعا إلى توقرت، ثم بسكرة، فقسنطينة.[1]

في أواخر سنة 1860م، انضم الرائد كولونيوColonien والملازم بورينBorin، مع فيلق عسكري، إلى القافلة السنوية، التي تنطلق من دائرتي سعيدة والبيض وتجتمع بالأبيض سيدي الشيخ نحو توات، من أجل جلب التمور، مقابل الحبوب والأغنام. لكن وعند وصول الجمع إلى تيميمون، لم تفتح لهم أبواب القصور، حتى ابتعد الفيلق الفرنسي إلى مسافة مسيرة يومين، واضطر الضابطان إلى مغادرة المنطقة إلى تاورسيت، ثم تيمي، فواحة توات، ليجدا نفس المعاملة من قبل ساكنة القصور، فقفلا راجعين إلى القسم الأعلى لواد الساورة، بدل الاستمرار في التوغل نحو الجنوب.[2]

وفيما بين 1862-1867م، تمكن الرحالة جرهارد رولف Girard Rolf، وهو من أفراد فرقة اللفيف الأجنبي، من القيام بعدة رحلات في الصحراء الكبرى، بما فيها إقليم توات. وبحكم إتقانه للدارجة المحلية، فقد تنكر في زي صحراوي، الشيء الذي سمح له بأن يحصل على معلومات هامة ودقيقة، لم تتوفر لغيره من الرحالة الأوروبيين، استفاد منها الفرنسيون في احتلالهم توات.[3]

كما قام رولفRolf بأربع (4) رحلات تهمنا منها الرحلة الأولى، التي وصل فيها السوس، ومنه إلى واد درعة، فتافيلالت، ثم فقيق، فوهران. والرحلة الثانية سنة1864م، والتي انطلق فيها من طنجة إلى واد زيز عبر الأطلس، ومن ثم إلى واد

[1] ولد بباريس سنة 1840م، درس التجارة في ألمانيا، نشر دراسته عن التوارق، في الجمعية الشرقية ببرلين، وعمره 17 سنة، تعلم التيفيناغ والتارقية، ونشر كتابه "توارق الشمال، إلى جانب مؤلفات أخرى، توفي منتحرا سنة 1892م.

[2] العماري أحمد، المرجع السابق، 75.

[3] مياسي إبراهيم، المرجع السابق، ص 56.

الساورة، فإغلي، وبني عباس، ومنها دخل واحات توات، وزاوية كونته، وعين صالح بتيديكلت، ثم التف إلى غدامس، ومنها إلى طرابلس الغرب.[1]

بدأت رحلة بول سوليه Paul Soleillet[2] بين الجزائر وعين صالح، في 6 ديسمبر 1872م، واتخذ لذلك طريق الأغواط غرداية متليلي، وفي 4 فيفري 1873م، غادر إلى ورقلة، ولا نعرف سبب هذا الانحراف، الذي أجبره على التوجه شرقا بدل الاستمرار في طريق الجنوب الغربي، إلا أن المصادر سجلت عودته مجددا لاستكمال مهمته الأساسية، وهي عبور طريق المنيعة عين صالح، بعد أن قدم مشروعه أمام الغرفة التجارية بالجزائر العاصمة.[3]

انطلق سولييه في 19 فيفري 1873م، من متليلي أين كان ضيفا على قائدها الشيخ سليمان، ومعه ستة وعشرون شخصا، وعشرة جمال، وثلاثة خيول، وضمت بعثته كاتبه بافو وخادمه، ومرشدون من الشعانبة العارفين بمسالك المنطقة، وهم الإخوة موسى، وعبد القادر، و أحمد بن أحمد، وخادمهم قدور، وراعيين، وأربعة عشر من الحراس من قبيلة الشعانبة.[4]

وصلت البعثة إلى المنيعة بعد مسيرة (5) أيام، فاستراحت مدة يومين، وانطلقت جنوبا نحو عين صالح، التي وصلتها يوم 6 مارس 1873م، لكن لم يسمح لها بالدخول، فاضطرت للرجوع، ولم تستكمل هدفها على الرغم من أن سولييه سجل ملاحظات مهمة حول تيديكلت وهضبة تادميت، وكان يرغب في افتتاح وكالة تجارية بتوات.[5]

[1] مياسي إبراهيم، المرجع السابق، 57.
[2] Valette Jacques; Pénétration Francaise au Sahara et exploration: le cas de Paul Soleillet, Revu Francaise d'histoire d'Outre- Mer, A1980, V67, N248, pp253-267.
[3] Valette Jacques; Op Cit, p.254.
[4] Ibid, p.258.
[5] Ibid, p.257.

في نفس السنة أي 1873م، قام الضابط كاليفيث برحلة إلى المنيعة، واحتل واحتها، ثم تراجع عنها بعد أن قام برسم خرائط للمنطقة، ووصف مناخها، وتضاريسها، وساكنتها.

كما قام، في نهاية العقد الثامن من القرن 19م، بيرنارد فريديريكBernard Frédéric برحلة وقف فيها على الحدود الشمالية الشرقية لإقليم توات. في حين قطع الدكتور أوسكار لانزOscar Linz الخط الرابط بين طنجة تمبوكتو، مرورا بتندوف، ثم توجه إلى الممتلكات الفرنسية بالسينغال، حتى المحيط الأطلسي، وقد أنيطت به مهمة دراسة مختلف تضاريس مرتفعات الأطلس، والمناطق الجنوبية القاحلة، الممتدة بين طنجة وتمبوكتو، إضافة لبعثة الرهبان الثلاث بوشارBouchard، ومينوريMénoret، وبوليميPaulimier، الذين قتلوا قرب عين صالح.

الرحلات العلمية:

مع نهاية العقد الثامن من القرن 19م، وبعد أن تجمع لوزارة المستعمرات الفرنسية المعلومات الأساسية حول مختلف الأقاليم الجنوبية الصحراوية للجزائر، بعد الرحلات الاستطلاعية التي تحدثنا عنها آنفا، بدأت الدوائر الاستعمارية في التخطيط لمرحلة أكثر دقة وعلمية من سابقتها، حيث ركزت إستراتيجيتها على إخضاع المنطقة اقتصاديا، قبل إخضاعها عسكريا، خاصة وأنها تنعدم فيها كل مقومات الحياة، لهذا اتجهت الأنظار نحو إرسال بعثات علمية متخصصة لتحقيق هذا المشروع.

لعل أهم بعثة من هذا النوع، بعثة بول فلاتيرPaul Flatters الأولى، في 7فيفري1880م، التي كانت بين ورقلة، وغرداية، والأغواط، وضمت عشرة(10) أعضاء.[1] ثم بعثة فلاتيرFlatters الثانية في ديسمبر 1880م، التي كانت وجهتها

[1] تكونت البعثة من (10) أشخاص، نصفهم عسكريون، والباقون طبيب وإطار سامي ومهندسون وسائق، ثم دعمت في بسكرة، ب12 جنديا من الكتيبة الإفريقية. ينظر:
Brosslard Hénri; Les Deux Missions Flatters au pays des Touareg Azedjer et Hoggar, éd Libraire Furme, Paris, 1889, p.4. et Demoulin (F);

الجنوب، لاكتشاف بلاد التوارق، بهدف دراسة مشروع مد خط حديدي عبر هذه الصحاري،[1] وقد ضمت الرحلة الثانية أحدى عشر (11) فرنسيا، وسبعة وأربعون (47) جنديا من الأهالي، واثنان وثلاثون (32) سائق بعير، واثنى عشر (12) مرشدا، ثلثهم من التوارق، والبقية من الشعانبة.[2]

لم يكتب النجاح لهذه البعثة، بسبب هجوم التوارق عليها، أثناء عودتها بالقرب من بئر الغرامة، وبذلك قتل فلاتير ومن معه، في 16 فيفري 1881م، ولم يتمكن إلا القليل منهم من الوصول إلى ورقلة.[3]

خلفت هذه الحادثة مرارة في نفوس الفرنسيين، وأدت إلى توقيف مغامراتهم لسنوات، وبالضبط إلى غاية 1886م، حيث قام الضابط مارسال بالات Marcel Palat، على رأس بعثة عسكرية، بمحاولة عبور واحات توات، فاكتشف بعض قصور تيديكلت لكن الحظ لم يسعفه لمواصلة رحلته، حيث قتل في نفس السنة بعين صالح. نفس المصير لقيه الإنجليزي كامي دولCamille Douls سنة 1889م، على يد أهالي توات، عندما كان يقوم بدراسة المنطقة ومحاولة إنجاز خرائط عنها. والتي زارها نهاية ثمانينيات القرن 19م، برنار فريديريكBernard Frédiric، حيث وصل إلى الحدود الشمالية الشرقية لتوات.

تعتبر هذه الرحالات جميعها، إلى جانب البعثات بين 1890م-1900م، التي رافقت الحملات العسكرية، طلائع وطوابير لاستعمار المنطقة، بين 1899م-1901م، التي انطلقت مع وصول لافاريارLaffrriere، إلى منصب الولاية العامة بالجزائر.

---

l'éxplration du Sahara, in Annales de Géographie, N226, A juillet 1931, p.350 et suit.

[1] العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م، ص 101.

[2] Grammont, Le Colonel Flatters , Revue Africaine, N26, A1882, p.78.

[3] Brosslard Hénri; Loc Cit, p.250.

الخاتمة:

تعتبر منطقة توات، من المناطق الجغرافية، ذات البعد التاريخي الموغل في القدم، وهي تنتمي إلى حضارات الهضبة الصحراوية، التي صنعتها قبائل الجيتول التوارق، والليفتاي، واللمتونيون، والزناتيون، وهي حضارة تبدأ في ما قبل التاريخ، وتمتد عبر التاريخ الوسيط والحديث.

ترجع الدراسات مصطلح توات إلى اللغة الأمازيغية، لكنها اختلفت هل تسمى على لهجة صنهاجة اللثام أم زناتة، ومن ثم هل يأخد معنى الواحة، أم المنخفض، أم إسم أحد بطون صنهاجة، وفي كل الحالات فإن الدراسات التاريخية والإتيمولوجية، مازالت تحاول الوصول إلى وجهة النظر الأصح، ولو أن السؤال يبقى مطروحا كيف تسمى الإقليم في العصور القديمة، قبل أن يأخذ اسم توات.

عمر منطقة توات قبائل الجيتول قديما، ثم التوارق وبخاصة قبائل صنهاجة اللثام، إضافة إلى السود والحراتين ثم العرب، لكن في الفترة الإسلامية استطاعت بطون زناتة من السيطرة على الإقليم خاصة في جزئه الشمالي، بينما انكفأت قبائل التوارق نحو الجزء الجنوبي.

ورد الحديث عن توات، ذكرا أو إشارة، في العديد من المنوغرافيات المحلية، حيث قدمت لنا مادة تاريخية عن القصور والساكنة ومسالك ومعابر التجارة، ولو أنها مقتضبة.

ازداد الحديث عن منطقة توات أكثر، في المنوغرافيا الأوروبية الحديثة، ابتداء من القرن18م، وارتبط ذلك بالحملات الاستطلاعية، والاستكشافية، والعلمية، التي قام بها الأوروبيون عامة، والفرنسيون خاصة، في الصحراء الكبرى، وسواء كانوا عسكريين أو مدنيين، فقد سجلوا كل ما وقعت عليه أعينهم، وقدموا لنا مادة أنثروبولوجية غنية عن المنطقة، وقبائلها، وساكنتها، ونظمها، وعاداتها، مما لم يتوافر في المنوغرافيا المحلية، وهي مادة تفتح أبواب البحث الأكاديمي التاريخي والأنثروبولوجي.

يلاحظ على الرحلات الأجنبية ما يلي:

-أن الرحلات الأولى لربط إفريقيا الشمالية بإفريقيا السوداء، كان منطلقها حوضي نهري السنغال والنيجر، ومع منتصف القرن 19م، أصبحت الصحراء الكبرى مسرحا لهذه الحملات.

-بدأ التحضير لاحتلال توات، منذ أن بدأت توجه إليه هذه البعثات، التي لم تتوقف منذ 1857م، رغم الصعوبات، التي أودت أحيانا بقادة هذه الرحلات.

قائمة المصادر:

1-الإدريسي مولاي أحمد، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط خزانة الشاري الطيب، كوسام.
2-الإصطخري، المسالك والممالك، طبعة القاهرة، 1961
3-البداوي محمد، نقل الروات عن من أبدع قصور توات ، مخطوط خزانة أبا سيدي جعفر ، زاوية سيدي حيدة ، بودة.
4-البكراوي محمد، ذرة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط خزانة أبناء عبد الكبير، لمطارفة.
5-ابن بطوطة، تحفة الأنظار، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت .1980
6-ابن حوقل، صورة الأرض، طبعة ليدن ، 1938
7-العياشي أبو سالم، رحلة العياشي، الطبعة الحجرية، فاس، ج1.
8-السعدي عبد الرحمن ، تاريخ السودان ، طبعة هوداس ، .1964
9-الوزان الحسن، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و آخر، دار الغرب الإسلامي، بيروت1983، ج2.
10-ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1981، ج1.

11-اليعقوبي، معجم البلدان، طبعة الجزائر، 1960.

قائمة المراجع:

12-بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999م.

13-فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1984.

14-بن السويسي محمد، دراسة المجموعات الأثرية لمتحف أدرار، مطبوعات الجاحظية، دت.

15-مجموعة من الباحثين، الواقع الأنثربولوجي للصحراء الجزائرية في استراتيجية المشاريع الاستعمارية خلال القرنين 19-20م، وحدة بحث بجامعة أدرار، غير مطبوع.

16-الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، من القرن 17إلى20م، منشورات دار الثقافة لولاية أدرار، 2003.

17-بوساحة أحمد، أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، دار هومة للنشر، الجزائر2002.

18-جوليان شارل أندري ، تاريخ شمال إفريقيا، ترجمة المنجي سليم وآخرون الدار التونسية للنشر ، تونس 1976، ج2.

19-العماري أحمد ، توات في مشروع التوسع الاستعماري الفرنسي بالمغرب من 1850إلى 1902، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، ط.1988

20-العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م.

21-زاهر رياض، استعمار القارة الإفريقية واستقلالها، ط 1966 ، ص 110 وما يليها.

22-مياسي إبراهيم، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912 ، منشورات متحف المجاهد، الجزائر .1996

23-الواعي محمود، ثورة أولاد سيدي الشيخ والقبائل المؤيدة لها، مجلة الجيش، العدد 404، مارس 1997.

Les Sources et les Références/

24-Babo Daniel; Algérie des hommes et des lieux, Ed Le Sureau, 2010.

25-Bellil Rachid; Les Oasis du Gourara Sahara Algérien.

26-Bisson Jean; Le Gourara étude de Géographie Humaine, I.R.S, Université d'Alger, 1955.

27-Brosslard Hénri; Les Deux Missions Flatters au pays des Touareg Azedjer et Hoggar, éd Libraire Furme, Paris, 1889.

28-Callié René; Mémoires extraits analyse et rapports, T15.

29-Decolombe M .L'éxplorations des ksours et du Sahara de la province d'Oran,Paris,callamel ; 1858 .

30-Demoulin (F); l'éxplration du Sahara, in Annales de Géographie, N226, A juillet 1931.

31-Dion Cassius; histoire Romaine, Livre LXVIII.

32-Dr Henry; voyages et découvertes dans l'Afrique Septentrionale pendent les années 1849-1855, Td Paul Ithire, Paris 1860.

33-Encyclopédie Berbère, matière: Judaisme , article: les juifs au Sahara.

34-Encyclopédie Image Mundi; article histoire de Touat-article Tidikelt- article l'histoire du sahara. .

35-Jonard Edme Français; Remarques et Recherches Géographiques sur le voyage de Callié dans l'Afrique centrale, imp Royel, Paris 1830.

36-Gautier Emile Félix, Sahara Algérien, Ed Payot, Paris, 1928.

37-Grammont, Le Colonel Flatters , Revue Africaine, N26, A1882

38-Kehl George; Exploitation et pénétration Saharienne dans la première moitié du XIX siècle, Bulltin de Sociologie et de Géographie et d'Architecture, Oran 1953.

39-Legeune Dominique; Les Sociétés de géographie en France et l'éxpéditions coloniale au XIX siècle, Albin Michel, Paris, 1993.

40-Mammeri Mouloud et autres; Le Gourara élément d'étude Anthropologique.

41-Martin A.G.P, Les oasis sahariennes, Alger et Paris 1908.

42-Marchand Max; Histoire Abrégée de l'Algérie partie Sahara, Mars 1957.

43-Mimouni (Simon Claud); Le judaisme ancien du 6siècle avant notre ère au 3siècle de notre ère, Paris 2012.

44-Ould Saleck ElArby; les Haratins: le paysage politique Mauritanien, l'Harmattan, Paris-Budepest-Torino, 2003.

45-Valette Jacques; Pénétration Francaise au Sahara et exploration: le cas de Paul Soleillet, Revu Francaise d'histoire d'Outre- Mer, A1980, V67, N248.

46-Vincent Hénri; Voyage d'éxploration dans l'Adrar Sahara Occidental, Revue Algérienne et colonial, Paris, 3eme série, N4, Octobre, 1860.

47-Voinot Louis; le Tidikelt étude sur la géographie l'histoire, les mœurs du pays, ed Jacque Gandini.

48-Tillon (G); La Conquete des Oasis Sahariennes 1900-1901, Paris 1903.

49-Wikipedia.org, liste d'éxplorateurs.

50-Zimmermainn Maurice; la France dans le Sahara:l'occupation d'In Salah la mission Foureau- Lamy, Annales de géographie, A1900, V9, N44.